الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 63

منزلة الأنس بالله

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الامين، وعلى اله واصحابه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته واستقام على شرعه الى يوم الجمع والدين، الحضور الكريم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نعيش في عصر تتصارع فيه معاني الحياة، بين مفردات المادة واشواق الروح، ونتيجة للطغيان المادي وهيمنة هذا الطغيان على كثير من مفردات الناس يفقد المسلم في خضم هذا الطغيان وتتوارى خلف اسوار المدنية وحجب المادة كثير من القيم الروحية الحية الدقيقة اللطيفة، ومنها الانس بالله عز وجل، والانس بالله حالة الوجدانية تعني علم القلب واحساسه بقرب الرب، غير انه من مقامات الاحسان، ومن الدرجات الرفيعة جدا، يأنس الانسان بمحبوبات ومألوفات كثيرة في حياته، ان يأنس بالله حقيقة وان يحس القربى وان يشعر الاشواق، فان هذا من مقامات الاحسان وهي من المدارج العالية والمقامات السامية، لو اردنا ان نتحدث عن الانس يبدأه ابن القيم بداية عجيبة، يحدث ابن القيم عن ذوق طعم الايمان وذلك ممكن فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين قوله ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان فكأن الايمان ليس مجرد مفاهيم او مجرد قضايا نظرية.

او مسائل كلامية، او فلسفات او قناعات وجدانية، الايمان له حلاوة، تدرك وتحس ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان وجود حلاوة الايمان في النفس الانس بالله سبحانه، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ولا يتصور انس بغير حب، فان البغض هو الايحاش، من ابغض شخصا ليست لديه قابلية ان

يستمع اليه ولو كان من اعلم الناس، بل لا يعي ولا يفهم ما يقال من هذا الشخص، ولذلك الحب اساس الانس، ولا يتصور انس بالله بغير حب لله، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما، وان يحب الرجل اخاه لا يحبه الا لله، حب بعض البشر وحب الاخوان وخدمتهم والتواضع لهم، وبذل النفس للاخرين هو علامة انس الاخرين علامة انس بالله، فلسفة ابن القيم ان صح هذا التعبير يقول لان خروج النفس وذلها لاخرين من الصعب جدا ان يكون، لكن لا يقدر عليه الا من فعل هذا لله، فمن اذل نفسه لاخوانه من المؤمنين طاعة لله دل على انه عظيم الحب لله ولو على حساب نفسه، هذه نقطة واضحة واحاول ان اعيد هذه النقطة ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ان تكون دليل هذا يخالف طبعك ان تزد ببشر مثلك هذا صعب فاذا دللت له لله دل على انك تخالف هوى نفسك وانك تهدم نفسك وتذلها لله ولانه امرك ان تذل لاخوانك ذللت لهم طاعة لهم واي انس اجل من هذا الانس؟

وهذا درجة رفيعة من الدرجات، ان تذل لله عز وجل ان تذل في معاملة اخوانك بمعنى ان تبذل نفسك للاخوان تقربا وتعبد لله اما وانه لو لم يكن لله لما ذللنا لهم، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومن ذلك ايضا ان الواحد منا يعامل البشر، قال ابن القيم في هو يعامل رب البشر لانك تعامل البشر بمنهج الله، تحسن الى الجار تصل الرحم، تقطع من امرك الله بقطعه وتصل من امرك الله بوصله، فاذا انت في الحقيقة تعامل الله ولا البشرة وهذا ايضا من المهم جدا، وفي هذه النقطة وقفة يقول يزيد ابن عبد الملك ابن مروان يقول اني لاستحي، من الله عز وجل، ان لاخي في الله الجنة ثم اظن عليه بالدرهم والدينار، قال اخي في الله وصل درجة اني اسأل الله له الجنة، لا يمكن ان ابخل عليه بمال لانه لا يمكن ان يكون المال اغلى من الجنة، ما في مال اغلى من الجنة، الان ممكن اخوانك في الله يسألونك الله الجنة، لكن عشرة الاف بيدخلها، والله يقول لك الجنة هاي ما بتقصر طب بالليل والنهار، لو قلت لي بسألك ما تسألني.

يعني شوف سبحان الله قال انا زول من كثرة ما بحبه بسأل ليه والله الجنة ما بديوه، عنده فهم، يا اخي قال اخوي في الله انا بسأل له ام الجنة، ؟ والله بالليل والنهار اسأل لك، لكن انت هتجيك قلت له داير لي خمسين الف ايش تديني؟ ديني والله تضايق، يا زول انت اخوك بتسأل ليه ربنا الجنة؟ والدليل على انك عندما تحب الاخوان في الله، تأنس بالله؟ قوله تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ في النفس وضبطها والمكنة من شهواته ونفسه، والامر الثالث ان يكره ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في وذلك لانه كما قال ابن القيم وصل من المراتب ما استقر قلبه وثبت يقينه بهذا الدين

فلا يمكن ان يرجع عن هذا الدين ابدا، ومن الادلة التي استدل بها ابن القيم في بداية الحديث عن منزلة الانس قول النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا نبيا والح في الصحيحين ذاق طعم الايمان.

لابن القيم كلام لطيف، يقول رحمه الله نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الاخرة، كقطرة في بحر، نعيم الدنيا، الان يعني الناس عندهم نعيم، في نعيم، احيانا بعض الناس يدخل مراكز تجارية ضخمة جدا، ويقال فيها كل شيء وانت ترى مناظر بديعة ينبغي ان تذكرك هذه المناظر بالجنة، نعيم الدنيا كله بالنسبة لنعيم الاخرة كقطرة في يوم، قال ونعيم الاخرة بالنسبة لنعيم معرفة الله وحبه والقرب منه والانس به كنسبة نعيم الدنيا في نعيم الاخرة، شيء عجيب ذاق طعم الايمان، يعني نعيم الدنيا في الاخرة قطرة، نعيم الاخرة والجنة، بالنسبة لنعيم القلب ومتعته بمعرفة الله ومحبته، كنسبة نعيم الدنيا في الاخرة، يعني نعيم في نعيم الانس كقطرة فير، وهذا قول ابن القيم في المدارج لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من سعادة قلبية لجالدونا عليها بالسيوف، وقوله انه لتمر بالقلب لحظات يهتز فيها طربا بانسه بالله؟ اقول لو ان اهل الجنة في مثل ما انا من النعيم انهم لفي طيب عيش، من كثرة ما يشعر ويحس العبد بمعاني القرب من الله عز وجل، ولذلك حكى ابو نعيم الاصفهاني في الحلية ابراهيم ابن ادهم وابراهيم ابن بشار وابو يوسف الغسولي وابي عبدالله السنجاري خرجوا في رحلة للدعوة.

يمرون على القرى يعلمون الناس ويذكرونهم، ثم وصلوا الى السحب، وعندهم رغيفة اكل الاربعة من الرغيف وشربوا من ماء النهر الجاري وقال ابراهيم بن ادهم لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من السعادة القلبية لجالدو بالسيوف، فاجل النعيم هو نعيم الانس بالله، والعبد يفتقر الى الله بعدد انفاسه، يقول ابن القيم اذا اراد العبد انسا بالله عليه ان يضع الاناء فارغا لمالكه ليصب عليه ما يصلحه، والاناء القلب وان اردت انسا ففرغ قلبك من غير الله، قال ابن القيم ادمع فقه كما ان لكل مجال من المجالات فقهاؤه فان فقهاء القلوب يقولون اساس كل خير وسعادة ان تقطع املك عن غير الله، وان تضع اناءك فارغا بين يدي مالك، وبعد ذلك سله ان يصب على قلبك ما يصلحك، قال ابن القيم والخروج بالقلب الى المسكنة هو اساس بداية الانس بالله، كيف؟ تأمل هذا الكلام، من الطف الكلام الذي قيل، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، لا طريق اقرب من العبودية ولا حجاب اغلظ من الدعوة، لا طريق اقرب من العبودية، اقرب طريق يوصلك الى الله العبودية، واعظم حجاب بين العبد وبين ربه حجاب الدعوة.

انا سويت انا عملته انا بقدر انا فاهم انا عالم اسألوني ده اغلظ حجاب ولن تجد كل انسان يتأنى يقول انا الا وتجد في قلبه قسوة وفي عينه جمود، لان الدعوة حجاب غليظ يخالف معنى العبودية، ولذلك الانس بالله عز وجل بدايته كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى الان ان تذوق طعم الايمان من الاحاديث التي في الانس بالله قول المصطفى عليه الصلاة والسلام ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، رجل ذكر الله خاليا، بينه وبين نفسه، عدد النعم، يسميها ابن القيم، يسمي هذه المسألة، البكاء بايناس الله ومنته قال ابن القيم في هذه المنزلة حدثني بعض اصحابي يعني ابن القيم انه قال لابن القيم جلست ذات مرة فذكرت نعمة الله علي بالهداية، وتوفيقه لي نحو السنة ومجانبته للبدع والباطل والمنكرات فذكرت نعمة الله علي فبكيت، قال ابن القيم ابكاه ايناس فضل الله ومنته، يعني استأنس بالمنة، واستشعر العظمة ولذلك بكى خاليا، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، الانس بالله اساس الانشغال عن غير الله لانه حتى ولو كنت انت مستأنس بالله ومنشغل بالله ولكن هنالك شواغل وصوارف وملاهي اخرى في حياتك فان هذه تضعف الانس بل يقول ابن القيم الانس يطمحي لا يكون هنالك انس انصرف عن كل ما سوى الله.

شف ابن القيم يضرب مثال وهو حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي وفي صحيح مسلم، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم صوم الوصال، دون ان يفطر يصوم متواصلا، يقول هل عندكم طعام؟ تقول عائشة رضي الله عنها لا، يقول اللهم اني صائم، قال القيم ويقول لاصحابه لا تفعلوا اني لست كهيئتكم اني ابات عند ربي يطعمني ويسقيني، لو كان الطعام طعاما حسيا كما يقول ابن القيم يناقش، قال لم يكن الطعام حسيا يعني لم يقل اكل شرب وشرب، يعني لم تنزل عليه مائدة من السماء يأكل فيها اصحابه لكنه يبات عند ربه يطعمه ويسقيه مما افاض عليه من الالهامات الربانية والمنح القدسية والاشراقات الروحية، فاصبح لا يعبه لشراب ولا طعام بل ان تجد نفسك احيانا اذا كان الفكر منشغلا والروح الى شيء مندثة تقرأ وتكتب احيانا ربما لا تمر عليك اوقات الوجبات واوقات الشراب وانت لا تعيب، والان انت تظن انك لا تستطيع تمسك عن الطعام والشراب، ولما يأتي رمضان وتنظر الى الاجر والثواب المترتب على المسألة، ويتعلق روحك بهذا يهون عليك الطعام ويهون عليك الشراب، حتى اورد ابن القيم ابيات شعر لها احاديث من ذكراك تشغلها عن السراب وتلهيها عن الزاد.

لها بوجهك نور تستضيء به عند الملمات في اعقابها عادي، اذا شكت من قلال زعجها روح اللقاء فتحيا عند ميعادي، مسافر ماشي دبي مفارق الاهل، قريب الدمعة، لكن قضايا ومصالح ومنافع ارتبط بها عقل وفكره يجعله يخرج من هذه المألوفات، بالرغم من ما فيها، ولا يعاني من اشكالات الطريق، ولا مضايقه، لانه كلما

شعر بتعب اذا تذكر الهدف نشط، اذا من كلال السير زعجها رح اللقاء، فتحيا عند ميعاده، ويذهب فاذا جاء في طريق العودة كان الفكر المسيطر على ذهنه وفهمه ووجدانه وعقله وروحه الاهل، ولذلك يمكن ان ينتظر ثلاثة ايام وينام على بالظلام ويقف في الصف الطويل وفي الجوازات ويحمل العفش الثقيل ويقف عند السير كلما احس بضجر وتذكر كيف ان الاطفال سوف يلقونه وان الاهل والعشيرة سوف كلما خفف عليه وعلى جسده من وطأة هذا التعب، اذا شكت من كلال السير زعجها رح اللقاء، فتحيا عند الميعاد وكذلك المهاجرون والمسافرون والسائرون الى الله بقلوبهم، القلوب فاذا تذكروا ان هنالك ميعادا ولقاء مع رب العالمين نشطوا، وتحركوا ومن هنا اني ابات عند ربي يطعمني ويسقيني، فتحل له محل الزاد.

تحرك القلب وكأن القلب يهاجر كما قال ابن القيم من وطن الدنيا الى وطن الاخرة، وهذا من لطيف الكلام، مثاله من الدنيا، الرئيس عنده خطاب وداعين له في مؤتمر نجيبوه في التلفزيون، كويس؟ في مجلس الوزراء، الرئيس بيكون بيتكلم في ترامس، الترامس دي فيها شنو؟ في حاجات بيشربوها، من الترامس دي بيكون بيشرب ما في ليه؟ لانه من المفترض ان يكون كامل وحاضر البديهة وبكلياته وعقله مع خطاب رئيسه الذي يستمع اليه وكذلك من كان مع مولاه ومتعلق بربي لا يعبأ لشراب ولا لزام، اني ابات عند ربي يطعمني ويسقين، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول اللهم متعنا بالنظر الى وجهك الكريم في حديث الترمذي، والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مذلة، اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين، كما جاء في الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم، الانس بالله من معوقاته الاساسية كما قال ابن القيم خمسة، معوقات الانس بالله، يعني ينبغي ان نسأل انفسنا سؤال، لماذا لا نأن احيانا تمر علينا لحظات او كثير والغالب في حياتنا انا لا نأنس بربنا، اولها التعلق بغير الله.

هذا اعظمها، ودواء هذا كما قال ابن اذا شعرت ان لك امل في غير الله تريد ان تقطعه؟ تريد ان تقطع الامل؟ كل واحد منا اتى الى هذا الدرس يريد ان يقطع امله في غير الله، قال يكون بامرين الاول بالمطلب الاعلى والغاية الاسمى، لرب العالمين، والامر الثاني معرفة حقيقة وخسة وضعف وحقارتي ما تتعلق به ايا كان، واذ اردت ان تعرف حقيقة من تتعلق به تأمل موته وحياته، سقمه وصحته، وفقره وغناه، فبمن تتعلق؟ اذا التعلق بغير الله، الامر الثاني ركوب بحر التمني، دائما الزور اللي عنده اماني واحلام ما بيأنس، ينبغي ان يقصر الامل، بان لا يسترسل مع احلامه وابن القيم يقول ركوب بحر التمني رأس اموال المفالس، الزور المفلس في الدنيا خل في الاخرة، المفلس في الدنيا يقول انا بسوي كده وباكر بسوي كدا وبجيب عشر عربات

وببيع والعربية ارصف فيها ثلاثة مليون، وافتح لي بقالة معي في شارع الستين، تتمنى الناس دي كلها قاعد تتمنى يتمنى ركوب بحر التمني وهو رأس اموال المفارس بعد ذلك من الاشياء المكدرة للقلب في انسه بالله كثرة الطعام، مما لا شك فيه.

يقول ابن رجب في كتابه لطائف المعارف، الدنيا عند المؤمن شهر صوم واحد، الدنيا دي مش عمرك، عمرك انت، شهر صوم واحد، يصومون في هذا الشهر اي زول مفروض المؤمن البسيط يقول عمره ده لو ستين سنة، يقول ده شهر واحد يعتبر عمره ده شهر واحد ويعتبره شهر صيام يصوم عن المحرمات والشهوات ويفطر عند الموت على رحمة الله، الدنيا شهر صيام المتقين، يمسكون الشهوات والمحرمات ويفقرهم الموت ويوم موتهم يوم عيدهم ولقائهم، لذلك يقول ابن رجب اهل الخصوص، من الصوان بيصوموا صومهم صوم اللسان عن البهتان والكذب، الزول الصائم بالصح من لم يدع قول الزور والعمل به، دي درجة عالية جدا في الصوم، اهل الخصوص من الصوام صومهم صوم اللسان عن البهتان والكذب، في درجة اعلى، والعارفون واهل الانس صومهم صوم القلوب عن الاغيار، والحزن ان تصون قلبك عن غير الله، وان تصون قلبك عن كل حجاب يحول بينك وبين الله، وده الانس، يصوم البدن ويصوم اللسان، كيف يصوم القلب؟

اهل الخصوص من الصوان صومهم صوم اللسان عن بهتان والكذب والعارفون واهل الانس صومهم صوم القلوب عن الاغيار والحجب، البخاري رحمه الله تحدث عن معرفة الله وان لا تكون المعرفة لسان معرفة لسان ان تكون المعرفة معرفة قلبية، شف العجيب ده، قال في تفسير قوله تعالى ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ما تفسيرك؟ ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الجنب والحائض والماء متوضي ما يمس المصحف، البخاري يقول لا يمس معارف القرآن الا من طهر قلبه، ولذلك يقول ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى يقول ان اردت لمعرفة الله ان تدخل قلبك، دائر معرفة الله تخش قلبك، ان اردت لمعرفة الله ان تدخل قلبك قال فاخرج من قلبك صور الشهوات، وكلاب الشبهات، وان الملائكة لا تدخل بيت فيه كلب ولا صورة، يعني اخرج من قلبك صور الشهوات والعلق بالرسوب كما يسميها ابن القيم والرسم كل ذا صورة جميلة جاثبة تدخل قلبك اذا تعلق القلب بها اضاع القلب شعبة من شعب الانس بالله، وهذه من المعاني اللطيفة العالية السامية، طيب، ركوب بحر التمني، تقليل الطعام، تقليل المنام، ان لا تنام كثيرا، لما جلس معاوية ابن ابي سفيان يسأل بعض من صحبوا عليا رضي الله تعالى عنه.

قال لهم صفوا لنا علي فذكروا في جملة ما ذكروا عنه قالوا كان طويل الفكرة كثير العبرة يأنس بالليل ووحشته، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، رأيته واغدوا له نجوم قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، عن اللذيذ، ويبكي بكاء الحزين، يقول يا دني غر غيري يتشوف في؟ قد اذنتك ثلاث زادك قليل وعمرك قصيد وحالك خطير اه من قلة الزاد ووح السفر وطول الطريق، ده شغل بتاع انس بالله عز وجل، لذلك اورد الذهبي في ترجمة عثمان بن ابي دهرش رحمه الله انه كان يقول كان اسلافنا لا يجدون انسهم الا بالليل، فاذا جاء النهار يقول احدهم جاء النهار ببثه وحزنه الان اصير مع الناس فلا ادري ما ادري على نفسي، ولذلك فضول النوم وخامسها فضول المخالطة اكثر شيء يعيق الانس بالله البشر، باختصار يعني البشر لا تتونسوا يضيعوا زمنه، كويس ناس اشغلوا فكرك، ناس يشغلوا عقله، واخرون مع قلبك كل هذه معيقة، لذلك يقول ابن القيم ما سود قلوب بني ادم الا انفاس دخان البشر، يعني كأنه الانفاس بتاعة البشر ومخالطتهم زي الدخان، بتسود القلب، غير انه لا يؤمر ان نعتزل الناس.

ولكن الناس اقسام، منهم من مخالطته دواء، بحسب الحاجة، لما نحتاج وفي ناس بتحتاج دوم في السوق ناس بتاع المنشغلة معاك ما عندهم معاك صلة لكن بتحتاج تبيع تشتري معاهم كده ومنهم من مخالطتهم كالغذاء اهل الخير اذا جلست اليهم تت روحا منهم ومنهم من مخالطتهم داء، اهل المعاصي والمنكرات ومنهم من مخالطتهم كالهواء، في دواء وداء وهواء والهواء هم العلماء، في الاخيار العلماء لا يأتيك منهم الا خير، لذلك يقول ابن رجب رحمه الله تعالى قال اقوام، تحيا بذكره واخرون تموت القلوب لرؤيتهم، يعني في نوع من البشر تسمع اسمه ساكن، الامام مالك، الامام احمد، تسمع اسمائهم، محمد ابن جرير تسمع اسماؤه قلبك يرتاح لك؟ وفيه ناس مش تسمع اسمه قال شفته انت يعني قلبك يموت يأثر عليك؟ يقول ابن القيم النافع مع هؤلاء قال مع الخلق ببدنك وان ينسل قلبك من بين ايديهم ان سلالا شعر من العجين فيكون الجسد مع الخلق والقلب مع الخالق، ما معناتها باش تقول له زوق اسمع خوي زول يجي في بيتنا ما في، تقفل الاوضة وتجنن تقول انا داير انس بالله واذكر الله واتكلم.

تقول له اسمع هوي انا بأنس بالله ابعدوا مني انتوا بتضيعوا الانس وانتم بتودوا المسألة ما كده، تكون قاعد معهم بتونس في بيت البكا، خلوه تونس هم يشوفوك قاعد معهم، لكن فكرك يكون مشغول بشيء اخر، لسانك مذكور يكون مشغول بشيء اخر، قلبك يكون مشغول بشيء اخر، ان تكون قال ابن القيم ان تكون حاضر الجسد غائب القلب، هكذا الفاظه حتى الفاظه النص يعني هذا نصه ان تقول ان تكون حاضرا جسدي غائب القلب، ان تغيب عنهم بقلبك وان تكون حاضرا مع العباد بجسدك حتى تأنس بالله عز وجل، وهذا

من الامور المهمة بعض السلف كان لا يجد انسه الا في الكتب، ينكب على الكتب يمسك الكتب يقرأ ويقرأ ويقرأ الكتب، فجاءه في احد اصحابه ارسل اليه مرسال ان ائتنا للانس يعني تعال نتونس قام قال له يا اخي قل له معه اضياف قل لهم معه ضيوف ما في ضيوف رجع قال لي يا اخي قصدك قال لك معي ضيوف لكن بيني وبينك ما معه ضيوف وطبعا مفروض يقول الكلام ده عنده جواله مش كده؟

قال لك ضيوف معهم ضيوف، قام بعد ما انتهى جاءه، فقال يا اخي لقد اخذت في نفسي، ارسلت اليك للانس وتقول ان عندك اضياف ولم يكن معك اضياف؟ فقال له لنا جلساء ما نمل حديثهم، الباء مأمونون غيبا ومشهدا، يفيدوننا من علمهم علم ما مضى، عقلا، وتسديدا رأيا مسددا فان قلت اموات فما انت كاذب، وان قلت احياء فلست مفندا، زول مع الموطأ ومع الصحة البخاري، بعدين قال له حاجة مهمة، قال له بعد ما تمشي منه وما بيقطعوا فيك، ودي مهمة جدا، انت عارف في ناس تكون قاعد معهم، اول ما تمشي يقطعوا شوي طوالي، شفته كيف؟ ما تعمل زي كذا، ده حرامي كبير وده شنو ما اعرف، ابعد منه، خليك مع الكتب زول فيهم، الباء مأمونون غيبا ومشهدا، يعني انا قال لما اكون قاعد مع الكتب بضمنه، ما بينضم فيك اصلا، في كتاب بقطع فيك بعد ما تمشي، اجعل الكتب دي الناس دي بعيد منهم والله يقطعه قطيعة، يا اخي حتى قال لك في خمسة نفر ولا كم ما اعرف قاعدين كل ما يقوم زول يقطعوا فيه، لحد ما فضلوا الاتنين ديت قطعوا في الناس كلهم.

والاتنين دول قاعدين اي زول ما دار يقوم، والله فيه ناس يا اخي والله يا البشر عنده اراء كثيرة يا اخي، بعدين شف البشر من الاشياء المعوجة في النفس ارتفاع الحس النقدي، في زول الحس النقدي عنده عالي جدا، قبل مناسبة يصادم قواعد التربية الاسلامية الصحيحة، حس النقد يعني شنو؟ يعني اي حاجة يعلق فيها، اي حاجة يعلق فيها، واحيانا يكون التعليق بسخرية لاذعة، وهذا اشكال، ارتفاع الحس النقدي، في نقد الاخرين هو من شيم المنافقين، وصف القرآن هذه الظاهرة بظاهرة السلق بالسنة شنو؟ حداد، ما عنده شغل ما بيشتغلوه ذاكين لا يعملون ولا يتركون عائدا يعمل وفي ناس بيقوموا على الشيوخ فلان الفلاني ما نافع فلان الفلاني كذا فلان الفلاني كذا وانت انت شنو؟ انت شنو؟ مكمل ولا كيف؟ والله يعني هذا من السوء، بل هو من سوء الادب، اعوذ بالله، عشان كذا قال ليهم الباء مأمونون غيبا ومشهدا، دوننا من علمهم علم ما مضى عقلا وتأديبا ورأيا مسددا، فان قلت اموات فما انت كاذب، وان قلت احياء باثارهم يعني، فلست مفندا يعني ما مخرف الامام مالك حي؟

ممكن يكون حي؟ لو قال لك ابو حنيفة حي حي الفقه ما موجود كل يوم قال ابو حنيفة وقال وقال اصحابه وقال مالك وقال الشافعي وقال ابن كثير وقال فلان ومن باب اولى الصحابة الذين يروى عنهم قال عمر بن الخطاب قال كذا رضي الله تعالى عنهم اجمعين فان فما انت كاذب من وجه، موت الاجساد، وان قلت احياء فلست مفندا بموت ببقاء الثمرات والنتائج والاثر، وامتداد العلم والصدقة الجارية لهم رضي الله تعالى الله جميعا، فاذا هذه معوقات الانس بالله عز وجل، اركان الانس بالله، ثلاثة اركان، لا يتصور ان يكون احد او احد من الناس يدعي انه يأنس بالله دون ان تتوفر فيه هذه الاركان اركان الانس بالله، الركن الاول صدق فداء نتكلم عن البشر، انت عندك ناس بتستلطفه بتحبه، وفي ناس ما بتحبه، كويس؟ هل انت اصحاب انسك؟ واصدقائك، واقربائك، والاحباء الى نفسك هل فيه البغيض الى قلبك؟

فيه زول بتكرهه بتأنس به؟ الخليل ابن احمد الفراهيدي رحمه الله كان يقول كانه مصدايق جالس عليها فجاء رجل يجلس معه فزاحمه يعني يقول له لعلي ضيقت عليك، قال له لا تسع الدنيا متباغضين، ولا يضيق سم خياط بمتحابين دي حقيقة، انتم اللي بتكره لك زود؟ كان جابوا اسمه، انت تش وتضايق جدا، كويس؟ كان لاقيته في الشارع، انت بيديك خواطر كتيرة، ما حيسلم علي الشارع ذا يضيق علي كان مشيت بيت البكا ولقيته قاعد بتعدي سرعة سرعة تمشي كان لقيته في بيت العرسة زاته فعلا فهل انت تأنس في البشر تبغض في البشر لا، هل انت تحب الله حقيقة؟ ان كنت ممن يحب الله حقيقة فتأكد انك ممن يأنس بالله سبحانه وتعالى، صدق محبة، المحبة اساس ولابن القيم قال يا سلام في الانس يقول كلما كان الحب اقوى كلما كان الانس احوى، يعني بيحويك الانس به، وكلما كان الحب كلما كان القرب وعلى حسب القرب يكون الانس، فكلما قوي القرب بالله من الله كلما قوي الانس به وكلما ضعف القرب بالله كلما ضعف الانس بالله، لذلك صدق محبة، ثانيا دوام ذكري.

الانس يقتضي ان تلهج بذكر الذي احببته دوما تحدث عن فضائله، تخبر عن ملاحبه للبشر، تتحدث عن كراماته ومكارمه، والثناء عليه وخصاله وصفاته، تحبب الاخرين فيه كما احببته انت، قلت انت كان سمعت لك شيخ وبعدين كلامه بيتكلم زوجته تقول له والله الشيخ الفلاني ده يعني كلامه سمحي، تعال اسمعه بتسوق وتوديه، لانه اعجبك وانت ذكرته في غيبته بخير لانك ابتداء احببته، ولله المثل دوام فكري وهنا قصة عجيبة جدا في باب الانس بالله، هذه القصة عن صحابي يسمى حزير رضي الله عنه، حزير، الصحابي اسمه؟ منو؟ حزير، حاء ودال وياء وراء، حدير، حدير خرج في جيش اعده رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه كان

في ايام الجوع الشديد، والمشقة، فزود الجيش تزويدا فرديا، يعني زمان بيقول الامير تأكله يتلمه وياكله سوا، لكن هنا ابدأ قال لي ما تاكل معهم بس تاكل برك، واعطاهم زاد وجبة في اليوم، حتى يرجعوا، انت كان اكلت حق بده كله، اي زول مع حبه، وما في زول بيقول له زول تاني، انت عندك ولا ما عندك؟

لانه اي ظلم غير ان النبي صلى الله عليه وسلم شاءت ارادة الله ان يزود الجيش كله الا حزيرا، ما زودوا، مادة وزاد، اي زول ادى حبه، بقية الجيش ظلوا ان حزيرا قد زود معهم، حزير لما ساق في الطريق كم يوم ما اكل وشق عليه الامر وعضه الجوع بانيابه، وبدأ الاعياء والتعب يظهر عليه بدأ يمشي في اخر الجيش متعبا، لكنه لم يفتر عن قوله لا اله الا الله الحمد لله الله اكبر سبحان الله الله اكبر لا حول ولا قوة الا بالله الحمد لله، يذكر الله عز وجل، وهو في اخر الجيش فنزل جبريل في المدينة النبوية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول له لقد زودت الجيش ونسيت حزيرا، انه في اخر الجيش يسبح الله ويحمده ويهلله ويكبره ويثني عليه، فقال صلى الله عليه وسلم انما انسيته، يعني انا نسيته ما قصدي عنه، بري انه ما قصده، فاعد زاد واعد فارسا من المدينة على فرس يلحق الجيش في الطريق وان يصل الى حزير وان يعطيه الزاد، غير انه قال للرجل قال اعط اذ زاد ولا تبرح حتى تسمع ما يقول.

شوفوا زول ده حيرد الفعل حتكون شنو؟ فجاء الفارس واوقف حذيفة في اخر الجيش واخبره بان جبريل قد نزل يخبر النبي عليه الصلاة والسلام بحاله ان النبي عليه الصلاة والسلام يعتذر اليه وهذا هو الزان، فقال حذيرا حمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي رحم ضعفي، رحم جوعتي، حمد الله يعني مبسوط جدا، الحمدلله الذي لم ينساني من فوق سبع سماوات، اللهم كما لم تنس حديرا اجعل حزيرا لا ينساك، قل له يا الله زي ما انت ما جيتني انا داير ما انساك، الزور ده موضوعه يعني كبير خلاص، اللهم كما لم تنسى حزيرا اجعل حزيرا لا ينساك، يا اخي ده نك العجيب خلاص اجعل حزيرا لا ينساك، حذيري ما ينسى الله، هو عارف انه الله ما بيزعل، لكن مشكلته انه هو بينسى الله، باين ان هو ما ينسى الله، ومتأكد انه الله ما بينساه، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ فقال الفارس اخذ الكلام ورجع بفرسه الى النبي عليه الصلاة والسلام، واخبره بما سمع، فقال النبي وسلم ماذا رأيت؟

قال لم ار شيء، قال اما وانك نظرت الى السماء لرأيت لدعائه نورا ساطعا، اللهم كما لم تنسى اديرا اجعل حزيرا لا ينساك، الركن الثالث من الانس بالله احسان العمل، صدق محبة ودوام ذكر واحسان عمل، ان تحسن العمل، ولكن العمل اساسه عمل القلب وان تعمل العمل بالجوارح وان تقوم بالاعباء وان تنفذ التكاليف الشرعية والاوامر الربانية وان تقف الحدود التي ارادها الله عز وجل لك ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

تَقْرَبُوهَا﴾ ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ ان تقف على هذه الحدود غير متعدية، ولكن ان يكون القلب خاشعا ومسكينا وذليلا، ده الانس تأمل قول ابن القيم، بيتكلم عن الحج، ان من الناس من يحج بجسده دون ان يكون مستشعرا مع ذي الحج بقلبه، واسلفنا من الناس من يصوم بجسده ولا يصوم قلبه عن الاغيار والحجب، يا من يطوف بكعبة الحسن التي حفت بذاك الحجر والاركان، ويظل يسعى دائما حول الصف ومحسر مسعاه للعلماني ويروم قربان الوصال على منى، والخيف يحجبه من القربان، فتراه محرما ابدا، في ناس حاجين طوال، العمر كله حقين لكن ده احرام اخر احرام عن المحرمات امساك عن المحرمات فتراه محرما ابدا وموضع حله منه فليس بداني فتراه يرمي قلبه.

هذه مناسكه بكل زمان، يبغي التمتع، مفردا من حبه، متجردا، يبغي شفيع قران، والناس قد قضوا مناسكهم، وقد ركائبهم الى الاوطان، رفعت لهم في السير اعلام الوصال، فشمروا يا خيبة الكسلان، معناها قال لك لما اجي في الجمرات ما باللي حصى بيرمي قلبه، يبغي التمتع مفردا من حبه متجردا يبغي شفيع قران، دنو الاخر من انواع التمتع بالحب، والقران بالحب كويس؟ والافراد بالحب افراد الله عز وجل، وهذا معنى لطيف جدا من المعاني، كان ابن القيم يقول مناسك الحج ينبغي ان يستفاد منها في واقع الحياة امساكا عن كل المحرمات، من الامور والمسائل المهمة، ام ايمن الهروية من المتأخرين، ليست هي ام ايمن الحبشية ام اسامة ابن زيد رضي الله عنهم جميعا حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن للحراوية كانت في مصر فاذا خرج الناس الى الحج كانت تبكي وتقول وا منقطعا وشوقاء هذا حال من انقطع عن البين فكيف حال من انقطع عن رب البيت؟

ولذلك الانس يحتاج الى احسان عمل، يقول ابو سليمان الداراني رحمه الله اهل الليل في ليلهم اشد فرحا، وطربا من اهل الله و في لهوهم، مش مسلا حتى الواحد مشي الحفلة دي، يعني مبسوط من النغمات والمسألة دي مستأنس يعني؟ قال ليك ناس اهل الليل في ليلهم اشد طربا من اهل اللهو في لهوهم، يعني مش زي المتمتعين متمتع متعة ما يعلم به الا رب العالمين، يا اخي لانه مع الله اذا كان انت مستمتع بالبشر، الفنانة المعين والنيل المعين وفي فنان قال لك المسرح الشاب كابسين المسرح الا يجيبوا العساكر قالوا يوقفوك عشان ما يلبسوا المسرح قال مبسوطين وفيه نوع من الناس الفنان ده لمن يغني وقاعد يبكي شنو نوع قالوا بيبكي انا والله بستغرب، يظل مالك؟ قال ليك بتهيج فيه اشياء وحاجات زي دي، جزء وبعدين في قلاية ناس بيستمعوا للفنانين الغربيين وقالوا في فنان في امريكا زاته زهجان من المسلمين انه بيسمعوا

اغانيه، قال ليك الزول كلام رب العالمين، يا اخي ابن القيم يقول موسى عليه السلام لما كلمه ربه ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ وجد من المتع واللذة ما اراد ان يطيل المكالمة فجعل يقول ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ اراد ان يطيل المكالمة.

ليس لان الله لا يعلم ما في يد موسى، ولم يكن موسى من المتطاولين في الكلام، او من متكلمين في الكلام في غير مواطنه ومواضعه، انما اراد بعد ان وجد لذة الكلام، ومتعة السمع اراد ان يزيد الامر، ولذلك اهل الليل في ليلهم اشد طربا من اهل الله و في لهوه، يقول لك ما زال الليل طفلا يحبو، كويس؟ لكن يعني الزول بيكون مستأنس عليك، اذا كنت تسمع الى شعر كتبه بشر وانشده بشر والقاه بشر، هذا يسمع الى كلام رب العالمين خالق البشر، واذا كان هو في معية الفنان بقلبه هذا في معية الله عز وجل وجدانه وقلبه كلياته، لذلك يجد من المتعة واللذة والراحة والسكينة ما لا تضاهى، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو في سجنه الذي سجن فيه كان يجد من اللذة والمتعة حتى كان طلابه اذا زاروه ما وجدوا في وجهه كدرا، غير التمسك فكان يقول لست مسجونا، المسجون من سجنه هواه، والمحبوس من حبس عن مولاه، المسجون الحقيقي متل في سجن الكوبر، في ناس حايمين كتار جدا لكن في السجون من الشهوات، وسجون من الافكار وسجون من الثقافات والضلال.

وسجون من الغم والهم، يتمنى الواحد لو انه دخله سجن كوبر، وقديما قالت الفلاسفة كان عنده مشاكل ووجد شاة غنماية بتاكل هنا وماسكة كده طيب قول يا اخي الغنماية دي حظها، هو بيقول لك الغنمات دي ما لها؟ والله الغنماية دي حظها يا اخي، لو قلت له كيف يا غنماية؟ يقول لك كيف تنقزني؟ مع انه هو متمني حال شنو؟ حال الغنماية بما الم به من الكرب ونزل به من الهم، فابن تيمية كان يقول لست مسجون، المسجون من سجنه هواه، والمحبوس من حبس عن مولاه، ما الذي يحول بينك وبين ربك؟ دعاء ومناجاة، ولذة، وتقربا وعبادة وانسا بلغ ابو سليمان الداراني من الانس انه كان يقول لله سبحانه وتعالى اما وربي اني احبك والله بحبك شديد لو انك النار اخبرت اهل النار في النار اني احبك، قال له يا الله انا بحبك، كان دخلتني في النار جوة النار بنم الناس بقول له انا بحب الله، ما قال له ابا خليك بحبك بحبك اصلا، كان دخلتني النار انا بحبك، درجة من الاناث والاحساس والشعور بالقرب من الله عز وجل، احيانا قد نستهجن وقد نستنكره لحياتنا المادية بايقاعاتها السريعة وطغيانها المادي وحركتها وشواغلها وصوارفها وملاهيها، اكون بذلك قد وصلت الى نهاية منزلتي ودرس الانس بالله تعالى، اسأل الله تعالى جل جلاله ان يجعلنا واياكم من المستأنسين بالله المنشغل.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/63/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com